العرب
الجمعة 2020/04/17
السنة 42 العدد 11680

غياب الفكر النقدي يساعد الشائعات على الانتشار في المغرب

سوء الفهم والتأويل أوقعا صحافيين في فخ الأخبار الكاذبة

وقع بعض الصحافيين في المغرب، كما باقي الأفراد، ضحية الشائعات منذ بداية انتشار فايروس كورونا، وساهم غياب الفكر النقدي الناتج عن التربية الدينية الخاطئة وأساليب التعليم التي لا تنمّي قدرات النقد، على تقبّل الناس للإشاعة والمساعدة على نشرها.

المواقع الإلكترونية في صدارة المتهمين بنشر الشائعات

الرباط – تنتعش الإشاعات وتزيد وتيرة رواجها خلال الأحداث الكبرى على غرار ما يشهده العالم حاليا مع تفشي فايروس كورونا، مستفيدة من الوسائل التكنولوجية الحديثة في سرعة نشر الأخبار وتبادل المعلومات، وفي المغرب تكتسب الظاهرة خصوصية تتعلق بالنسيج الاجتماعي والثقافة الدينية.

يعتبر المجتمع المغربي، كأغلب المجتمعات العربية، مرتعا خصبا لرواج الإشاعة لأسباب مختلفة ترتبط بالنسيج المجتمعي نفسه، وثقافة مكوناته التي تفسح المجال أمام انتشارها بدرجة أكثر في أوقات معيّنة مثل حالة الطوارئ غير المسبوقة التي يعيشها العالم حاليا.

ومنذ بداية انتشار الفايروس في المغرب، ساد الارتباك بسبب رواج مجموعة من الأخبار المضللة والإشاعات كالازدحام في الأسواق، ونفاد مجموعة من المنتجات الغذائية والصحية من رفوف المتاجر.

جواد مبروكي

التداعيات السلبية للشائعات يمكن أن تخلق قلقا مزمنا

يقول المعالج النفسي والأخصائي فيصل طهاري عن تداعيات الأخبار الزائفة "تتسبب الإشاعة في أذى نفسي واجتماعي واقتصادي كبير. فاليوم نمر من مرحلة يرتفع فيها الهلع والقلق وسط الناس، والخبر المزيف المضخم للأرقام يزيد من منسوب الخوف خصوصا عند من يعانون الوسواس القهري أو الاكتئاب، ويزداد بالتالي الضغط النفسي الرهيب على الناس، فضلا عن نشر الفتنة والتقسيم داخل المجتمع".

ركّز طهاري على وسائل التواصل الاجتماعي بصفتها الفضاء الوحيد والسهل الذي تنتشر فيه الإشاعة بسهولة وسلاسة، فقلة قليلة فقط تتحرى الدقة في الأخبار من القنوات الرسمية.

وبحسب الطبيب والمحلل النفسي جواد مبروكي، إذا كانت الإشاعة ظاهرة تخص كل المجتمعات، فإن ما يميّز المغربي هو افتقاده للفكر النقدي وتحرّي الحقيقة، لهذا يُصدّق كل ما يسمع، ويروّج الخبر من باب الواجب بسبب غياب الفكر النقدي الناتج عن التربية الدينية الخاطئة وأساليب التعليم التي لا تنمّي قدرات النقد عند الطفل، ولا تشجعه على الاستقلالية فيلجأ بالتالي للإشاعة للتعبير عن وجوده.

ويضيف مبروكي لـ"سوء الفهم والتأويل السبب وراء اختلاق الإشاعات في غالب الأحيان، في حين يكون مجرد لعب للتهريج والمسخرة بالآخرين كنوع من الانتقام من التربية المحبطة والمعاناة في الصغر بالنسبة إلى البعض واستراتيجية خاصة من قبل قادة التطرف الديني والسياسي في أحيان أخرى".

وتابع "عامل آخر يفسر ذلك يتعلق بفقدان الثقة في الدولة والإعلام واعتبار كل ما تروّج له الأولى من قبيل الكذب من أجل التضليل، فضلا عن الخطاب العنيف لرجال الدين تجاه المثقفين والعلماء والتقليل من شأنهم".

وعن تفسيره لانتشار الإشاعة بين فئة يفترض أنها متعلمة أرجع مبروكي ذلك لافتقادها للتكوينيْن الفلسفي والأدبي التنويري خصوصا عند المتخصصين في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والتربية التي حطمت الفكر النقدي.

ونبّه مبروكي للتداعيات السلبية التي يمكن أن تخلق قلقا مزمنا قد يصل إلى حد الاكتئاب والانتحار في فترة الحجر الصحي بسبب الهشاشة النفسية واضطراب التمييز بين ما هو صحيح وخاطئ.

وفي ما يتعلق بالحديث عن حالات الانتحار فقد شهدت مدينة الفقيه بن صالح حالتي انتحار في ظرف 24 ساعة، لكن تقارير السلطات المحلية لم تربط الحدث بتأثير الحجر الصحي.

وتنبهت الحكومة المغربية للفراغ القانوني في هذا الجانب فسارعت إلى المصادقة على مشروع قانون رقم 22.20، منتصف شهر مارس الماضي، يتعلق باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وشبكات البث المفتوح، والشبكات المماثلة من أجل ردع كافة السلوكيات المرتكبة عبر شبكات التواصل الاجتماعي والشبكات المماثلة، من قبيل نشر الأخبار الزائفة وبعض السلوكيات الإجرامية الماسة بشرف ومكانة الأشخاص أو القاصرين.

وحتى الثاني من الشهر الحالي أبريل، فتحت السلطات القضائية 81 تحقيقا قضائيا حركت على إثره المتابعة في حق 58 شخصا في انتظار انتهاء التحقيقات في حق الباقين حسب بيان النيابة العامة المتعلق بالتصدي للأخبار الزائفة، في الوقت الذي أعلنت فيه بعض المحاكم أحكاما بعقوبات السجن والغرامات المالية في حق مجموعة من المتابعين.

في المقابل، صالحت جائحة كورونا الجمهور مع القنوات التلفزيونية بعدما زادت نسبة الإقبال على برامجها من أجل معرفة المستجدات والأخبار، وفي الوقت الذي احتجبت فيه الجرائد الورقية مكتفية بالإصدار الإلكتروني، انتعشت المواقع الإلكترونية التي تكاثرت في السنوات الأخيرة.

وفي غياب معطيات علمية دقيقة للإحاطة بالظاهرة في المجال الإعلامي عموما يقول الأستاذ الجامعي يحيى اليحياوي إن الصحافيين في بعض المواقع الإلكترونية على وجه الخصوص باتوا ينظرون للإشاعة ويؤسسون لها في مرحلة وصفها بالانتقالية اختلط فيها الحابل بالنابل.

وفسّر اليحياوي تهافت الصحافيين على الإشاعات ونشر الأخبار من قبيل "يروج" و"من المنتظر" و"من المتوقع" بالمزايدات والبحث عن السبق الصحافي بدل تحرير معلومات دقيقة موثقة من مصادر معروفة.

ويضيف اليحياوي "هذه المواقع الإلكترونية غير جدية ولا تحترم أخلاقيات المهنة في حدودها الدنيا والمعتمدة على أشباه الصحافيين المفتقدين لأسس العمل الصحافي المهني، ويعود السبب في ذلك إلى الخطوة التي أقدمت عليها الحكومة قبل سنوات بفتح المجال أمام تكاثر المواقع الإلكترونية".

واتفق نورالدين مفتاح رئيس تحرير أسبوعية الأيام مع اليحياوي في النقطة المتعلقة بأخلاقيات المهنة، واصفا ما حدث بالانزلاقات من قبيل عدم احترام القاصرين، وانتهاك الخصوصية، ونشر أخبار الشعوذة ومنح هالة مضاعفة للتفاهة.

ويرى مفتاح أن التربية وتعميم التعليم هما السبيل للقضاء على التفاهة والإشاعة في مجتمع نصفه أمّي يقبل فيها بكثرة على فيديوهات مثيرة وسهلة وغير معرفية، في زمن أغلقت فيه الأماكن المعتادة لنشر الإشاعة مثل المقاهي.

وعلى خلفية الانتقاد الذي طال محتوى بعض المواقع الإلكترونية، ركّز نورالدين مفتاح على نقطة مضيئة تتعلق بمساهمة وسائل الإعلام المغربية عامة في الحد من الإشاعة أمام الطفرة الهائلة لوسائل الاتصال الجماهيري من خلال حملات توعية يومية للمواطنين.

غوغل تحذو حذو فيسبوك لإنقاذ نفسها

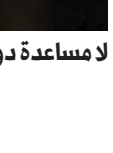

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

الخطوة التي أعلنت عنها غوغل، الأربعاء، لتأسيس صندوق لمساعدة وسائل الإعلام الإخبارية، ودعمها للاستمرار بعملها في مواجهة تبعات كورونا، ليست كرما كما حاولت الشركة العملاقة أن تبدي الأمر، وقلّدت غوغل في ذلك الخطوة التي سبق أن اتخذها موقع التواصل الاجتماعي الأكبر فيسبوك.

الحقيقة أن الشركتيْن العملاقتيْن إنما تعيدان جزءا يسيرا مما يجب عليهما دفعه لوسائل إعلام وصفوها بالمحلية. بعد أن تلقت تلك الوسائل ضربة مزدوجة بفعل الوباء الذي اجتاح العالم؛ الأولى، جاءت من توقف الناس عن متابعة النسخ الورقية للصحف والمجلات، بعد أن تناقل الناس في ما بينهم خبرا يفيد أن الورق من أكثر الوسائط نقلا للفايروسات.

أما الضربة الثانية فقد تسببت فيها الاقتطاعات الكبيرة في ميزانية وسائل الإعلام بفعل الأزمة الاقتصادية العالمية الناجمة عن حالة الطوارئ الصحية، إضافة إلى الانحسار الكبير في الإيرادات الإعلانية التي تعتمد عليها وسائل الإعلام الإخبارية.

نائب رئيس غوغل نيوز رتشارد غينغراس، الذي أعلن عن خبر تأسيس الصندوق، أكد أن "الأخبار المحلية مورد حيوي لإبقاء الناس والمجتمعات على تواصل في أوقات الازدهار"، كان المنتظر منه أن يكمل كلامه ليقول، إن هذه الأخبار المحلية هي ما يضمن تواصل الناس مع غوغل ويكفل استمراريتها.

هناك جيش من العاملين؛ مراسلون وصحافيون يعملون جاهدين بحثا عن الأخبار، كلٌ في بلده، البعض منهم يعرّض نفسه للمخاطر، وكثيرا ما ينتهي الأمر بهم للاعتقال أو القتل، هؤلاء واجب على غوغل وفيسبوك تقديم الدعم لهم؛ بذلك فقط تضمن تلك المواقع التي ظهرت فجأة وتسيدت الواجهة الإعلامية وجودها، وتتابع تحقيق أرقام خرافية من الأرباح على حساب الجنود المجهولين.

لا نعلم الأرقام التي قررت المجموعة العملاقة ضخها في هذا الصندوق، مكتفية بالقول إنها ستقدّم مساعدات تتراوح بين بضعة آلاف الدولارات لوسائل الإعلام الصغيرة، وبضع عشرات آلاف الدولارات للمؤسسات الكبيرة.

التقديرات الصادرة حتى الآن تشير إلى أن وسائل الإعلام الإخبارية حول العالم ضحّت بـ28 ألف وظيفة، بفعل الأزمة الصحية وتبعاتها الاقتصادية.

وكانت فيسبوك، قد سبقت غوغل وأعلنت في 30 مارس عزمها تقديم مساعدات بقيمة مئة مليون دولار للمؤسسات الإخبارية المتضررة من تفشي الوباء حول العالم.

هذه المؤسسات تؤدي اليوم، وباعتراف غينغراس نفسه، دورا أكبر في نقل المعلومات المتعلقة بكل صغيرة وكبيرة حول الوباء، بدءا بالحجر المنزلي وإغلاق المدارس، وانتهاء بتأثيرات كورونا على الحياة اليومية. ورغم توقف معظم تلك المؤسسات عن طباعة النسخة الورقية، إلا أنها تعمل بشكل محموم لتغطية الأخبار بما فيها تتبع أخبار الوباء.

وإذا كنّا نجهل المبالغ التي ستقدمها غوغل، إلا أننا نعلم حجم الأرباح الصافية التي حققتها المجموعة من عائداتها الإعلانية، خلال الربع الثاني من عام 2019، وهو 32.6 مليار دولار؛ حسب أرقام صادرة عن الشركة. أما فيسبوك فقد تجاوز صافي أرباحها في عام 2019، 16 مليار دولار.

الرقم الذي تطوعت به فيسبوك، 100 مليون دولار، رقم ضئيل بكل المقاييس، ولا نتوقع أن تكون غوغل أكثر سخاء؛ بينما بمقدور الشركتين العملاقتين، تقديم أضعاف هذا الرقم، ليتم الاحتفاظ بجميع العاملين في المؤسسات الإعلامية، ومنع الاستغناء عن المزيد منهم.

يجب أن لا يقتصر الدعم الموجّه لتلك المؤسسات على غوغل وفيسبوك، كل الشركات الرقمية وفي مقدمتها مايكروسوفت وأبل مدينة للإعلام المحلي، وواجب عليها تحمل مسؤوليتها الأخلاقية في إنقاذ تلك المؤسسات من الإفلاس.

يجب أن لا يُسمح لشركة غوغل وأشباهها التمادي في تجاهل حقوق النشر، فما كان لصناعة النشر أن تزدهر لولا حقوق الملكية الفردية، التي استطاعت تلك الشركات أن تتجاوزها بأساليب وطرق ملتوية تصل إلى حدّ الابتزاز.

في مواجهة قوانين حقوق النشر الأوروبية، التي تجبر محركات البحث وفيسبوك وأخبار آبل، على الدفع للناشرين مقابل ما تشاركه من محتوى منهم في خدماتها، فضلت غوغل التهديد بإغلاق خدمتها أخبار غوغل، على الرضوخ للقانون الأوروبي.

وكان قد سبق لغوغل أن أغلقت خدماتها اعتراضا على فرض قوانين لا تلائمها، كما حدث في إسبانيا، ردا على قانون يجبرها على الدفع للصحف التي تتم مشاركة مقالاتها في الخدمة، وكانت النتيجة أن شهدت مواقع تلك الصحف هبوطا حادا في عدد زوارها.

> **لا يجب السماح لغوغل وأشباهها بالتمادي في تجاهل حقوق النشر، فما كان لصناعة النشر أن تزدهر لولا حقوق الملكية**

وتراهن غوغل على ما حصل للصحف الإسبانية في دعم موقفها، ولذلك يأتي تهديدها بإغلاق خدمة الإخبار في أماكن أخرى نابعا من قوة؛ نحن من يسيطر على الإنترنت، وعليكم أن تخضعوا لشروطنا.

بالطبع لا نريد أن نقلل من قيمة الدور الذي تلعبه محركات البحث ومواقع التواصل الاجتماعي في تعميم الخبر ونشره، وتسهيل الوصول إليه، ولكن ما نريد التأكيد عليه أن غوغل وأخواتها تُدين لوسائل لإعلام التقليدية في الازدهار والوفرة التي ترفل بها.

ما يكابده الإعلام التقليدي اليوم هو، إلى حد كبير، بسبب منها، قبل أن يكون السبب هو كورونا، وبناء على ذلك يجب عليها تحمّل النصيب الأوفر من المسؤولية.

الإنترنت مليئة بالأخبار، ولكن، من يمنح المصداقية للخبر هو وسائل الإعلام التقليدية؛ مازال الخبر يستند في مصداقيته على مصدره الأساسي، فالخبر لا يكون خبرا إن لم يكن مصدره نيويورك تايمز، أو الغارديان، أو اللوموند، أو العرب اللندنية، أو الأهرام وغيرها من الصحف والمطبوعات ووكالات الأنباء.

الشركات العملاقة التي تتفاخر اليوم بسطوتها، ما كان لها أن توجد لولا حضارة الورق، ولولا وسائل الإعلام التقليدية. رغم ذلك، الإعلام الورقي مطالب بالاستفادة من المحنة الأخيرة وإعادة اختراع نفسه، عليه أن يتحول من مجرد ناقل للأخبار، إلى حكم على أخبار التي يتناقلها هواة عصر الاستهلاك السريع.

هل كتب كورونا نهاية عصر الورق، وعصر الإعلام التقليدي؟ هذا متوقف على ردود فعلنا نحن البشر، الورق ليس الناقل الوحيد للفايروسات، البلاستيك والزجاج والمعدن كلها أسطح ناقلة للفايروسات، حتى الهواء هو الأخر ناقل للفايروسات.

وكما كانت أول بؤرة لكورونا في الصين، تم اختراع الورق بشكله الحالي أيضا في الصين، عندما أعدّ المخترع الصيني، تساي لون، أول عجينة للورق من قطع القماش الذي سبق نسجه وذلك بعد تقطيعه وخلطة بالماء وضربه جيدا.

هناك اختراعات وُجدت لتبقى، النار مثلا، والعجلة أيضا، وكذلك الورق؛ دعونا لا نشارك بتأبين الورق وإعلان وفاته قبل الأوان، دعونا لا نشارك بحرق 2115 عام من التاريخ.

28 ألف مراسل وصحافي فقدوا عملهم، لن يقولوا شكرا لغوغل، ما تقدّمه لهم هذه الشركة وأمثالها مجرّد فتات، لا يفي ولو بجزء يسير من فضل الإعلام التقليدي على محرّكات البحث ومواقع التواصل الاجتماعي.

لا مساعدة دون مقابل